**القضية الفلسطينية بين الخطاب التكفيري والخطاب التفكيري**

**أ. د. إحسان الديك

 جامعة النجاح الوطنية
 نابلس- فلسطين

بحث مقدم الى
مؤتمر الخطاب التكفيري في الفكر العربي الحديث
جامعة القيروان –تونس**

تتميّز القضية الفلسطينية عن غيرها من قضايا التحرر الوطني ببعديها العربي والإسلامي، وتأثير هذين البعدين فيها نتيجة امتدادهما في مكوّنات الشعب الفلسطيني الدينية والتاريخية والثقافية والسياسية والاجتماعية. لذا لا يستطيع الشعب الفلسطيني أن يتخذ قراراً أو مشروعاً وطنياً سلماً أو حرباً بمعزل عن هذين البعدين أو الاعتماد على هاتين الدائرتين، آخذا في الحسبان التغيرات التي تطرأ على مكوناتهما، وتأثير القوى الكبرى فيهما.

كما أن الأنظمة العربية لم تستطع الفكاك من هذه القضية أو التخلّي عنها، إذ ظلّت كل دولة تعتبرها قضية وطنية مثل قضايا التحرر الوطني الأخرى: السياسية والاجتماعية والاقتصادية، كما ظل الصراع مع العدو الصهيوني صراعاً عربياً صهيونياً، ولم يجرؤ أحد سواء من الجانب العربي أو الجانب الفلسطيني على المطالبة بخصوصية هذا الصراع، وترك القضية إلى أهلها الفلسطينيين يفعلون بها ما يشاؤون، حتى تلك الأنظمة التي تتمنى التحلل من عبء الالتزام بهذا القضية لاعتقادهم أنها مصدر إشكالية العلاقة مع الغرب([[1]](#footnote-1)).

وعلى الرغم من مركزية القضية الفلسطينية، باعتبارها معيار شرعية ووطنية وقومية كل الأنظمة العربية، واحتكارها لها في مرحلة المد القومي، إلا أن التطورات اللاحقة التي عصفت بالمنطقة بدءاً بهزيمة 1967، ومروراً باتفاقيات كامب ديفد، ووادي عربة، وأوسلو، وغيرها، ووصولاً إلى ما يسمى بالربيع العربي، أدت إلى انهيار سحر القومية العربية، وتراجع مكانة القضية الفلسطينية، وتحويل الصراع إلى فلسطيني صهيوني وعودة أزمة الهوية، مما ساعد على ظهور موجة من التيارات الفكرية والدينية المتشددة عزز وجودها الإحساس بالعجز، وغربة النفس، وغياب الأمن، والعدالة الاجتماعية، وسوء توزيع الثروة، وصراع الطبقات، والشعور باليأس جراء الهزائم المتوالية أمام العدو الصهيوني([[2]](#footnote-2))، ولجوء الأنظمة الحاكمة إلى وسائل القهر والقمع وكبت الحريات، واحتكار تفسير النص الإلهي بما يخدم مصالحها والحفاظ على شرعيتها، مما دفع التيارات الدينية إلى تفسير النص بما يناسب توجهاتها وأهدافها([[3]](#footnote-3)).

وفي ظل هذه الأجواء، وما حلّ بشعوب الأمة العربية من تشظ وطائفية واضطراب داخلي، ظهرت حركات وتنظيمات إرهابية متطرفة قدمت التكفير على التفكير، وسعت إلى فرض هيمنتها وسيادتها بالقوة، متّخذة من خطاب التكفير وسيلة وذريعة وغاية، مستغلة هوى العامة الديني، ومستندة إلى الجانب المظلم من موروثنا الذي كرسه بعض ساستنا وفقهائنا ومفسرينا.

إذ ليست الظاهرة التكفيرية – كما يظن البعض – وليدة عصرنا، وإنما هي سلوك بشري يضرب بجذوره في الماضي عند معظم الشعوب، فنجد من كان يكفر جماعته أو بعضاً منها في بعض الأزمان، يستوي في ذلك العرب والعجم، وأهل الملل والنحل، ويحدثنا تاريخ الأديان عن كثير من الخلافات والانشقاقات بين أبناء الدين الواحد، أدت إلى سفك الدماء، وقتل كثير من الأبرياء، وليس غريبا القول إن تكفيريي اليوم هم امتداد لتكفيريي الأمس، وأنهم اعتمدوا على أفكارهم وآرائهم ومنجزاتهم.

والوقوف على أصول الخطاب التكفيري، وتحليل طبيعته، ومعرفة معالمه واتجاهاته، وتفكيك حججه ومرجعياته، يجعلنا أكثر معرفة بسلطته وسطوته، وإدراكاً لأثره وتأثيره في القضية الفلسطينية ويدفعنا إلى صياغة خطاب سياسي وثقافي وفكري، موازٍ له، يتضاد معه، ويناهض تطرفه وإرهابه، ويدحض رؤاه ومقولاته.

ومع أن البعض يصف الخطاب التكفيري المعاصر بأنه "قطبي"، أي أن الذي أرسى تقاليده، وحدّد ملامحه، ونظّر له، أكثر المجتهدين في تاريخ الإخوان المسلمين، سيد قطب في كتابيْه "في ظلال القران"([[4]](#footnote-4)) و"معالم في الطريق"([[5]](#footnote-5)) إلا أنه يرتكز على أصولية مستمدة من تعاليم سلفية تمتد إلى ما بعد صفين وقبول مبدأ التحكيم، حين كفّر الخوارج بعض صحابة رسول الله "ص"، ورفعوا شعار "لا حكم إلا لله"، وعلى الرغم من انتهاء حركتهم بعد قرن ونيّف من الزمان، إلا أن تأثيرها العقدي الديني ما يزال مستمراً إلى يومنا هذا، "فالإرث الذي تركوه جعله نقطة ارتكاز ومرجعية فكرية لكثير من الحركات والتنظيمات، ومصدر إلهام علنيّ أو سرّيّ لها"([[6]](#footnote-6))، وعلى رؤى وفتاوى وأفكار ابن قيّم الجوزية، وابن تيمية وأحمد بن حنبل وغيرهم.

ولعل أهم ما يميّز هذا الخطاب أنه أحادي النظرة لا يقبل رأياً آخر، لأنه إلهي يتصف بالقداسة والطلاقة، على عكس الخطابات الوضعية الأخرى مثل القومية والاشتراكية واليسارية والليبرالية التي يصوغها علمانيون غير مؤمنين لا يمتون للدين بصلة، ويهدفون إلى فصل الدين عن الدولة وتطبيق المبادئ والأفكار والمفاهيم الثقافية الغربية، ويتميز كذلك بأنه مطلق صالح لكل زمان ومكان، لذا فهو لا يقبل النسبية، ولا يخضع للتحليل "والمراجعة والنقد والنظر العقلي"([[7]](#footnote-7)).

شكل مفهوم "الحاكمية لله" و"المجتمع الجاهلي" ، الركيزة الاساسية والعمود الفقري في بنية الخطاب التكفيري، "فالدولة التي تطبق قوانين وقواعد وأحكاماً من صنع البشر، ودون استناد إلى القرآن والسنة وأحكامهما هي دولة كافرة وجاهلة، وكذلك المجتمع الذي تحكمه فهو يمثل الجاهلية المعاصرة التي تعادل الجاهلية الأولى، ولأن الدولة كافرة والمجتمع جاهلي، فقد حق الجهاد ضدهما بهدف الاستيلاء على السلطة لإقامة المجتمع الإسلامي والحكم بما أنزل الله، والبدء بأسلمة المجتمع"([[8]](#footnote-8)).

ويلاحظ أن أصحاب هذا الخطاب هم من المنشقّين عن جماعة الإخوان المسلمين، وممن سمّوا بالسلفية الجهادية التي كفرت الحكومات العربية المعاصرة، وتبنت التغيير الراديكالي والمسلح، وكانت الحاضنة الأيدلوجية لكثير من الجماعات التكفيرية المختلفة مثل القاعدة وداعش وغيرهما([[9]](#footnote-9)).

ولا يخفى على أحد أثر هذا الخطابي الظلامي على الاستقرار الداخلي للبلدان العربية، وتأثيره في ازدهارها وتنميتها، بل وتدمير بنيانها وأنسجتها وهدم قدراتها ومقدراتها، حين دفعت التنظيمات التكفيرية أفرادها إلى الاشتباك الداخلي مع الأنظمة الكافرة من جهة وافراد المجتمع الكافر من جهة أخرى كما يدعون، فانشغلوا جميعاً أنظمة وشعوباً في مشاكلهم الداخلية وانصرفوا عن الاهتمام بالقضية الفلسطينية، وصُرفت الطاقات والإمكانات لمواجهة خطر الإرهاب الداخلي بدلاً من أن توجه لمساعدة الشعب الفلسطيني ومواجهة العدو المركزي / العدو الصهيوني.

ولقد استبشرت الشعوب العربية وبخاصة الشعب الفلسطيني بما يسمى "الربيع العربي" علّها تتخلص من الِأنظمة التقليدية التي منعتها من المشاركة الحقيقية في دعم القضية الفلسطينية، بيد أن ما حدث ويحدث في العراق وسوريا واليمن وليبيا وبقية الدول العربية، جعل الكثيرين يتمنون العودة إلى زمن الِأمن والاستقرار بما فيه من تسلط وفساد، إلى الزمن الذي كانت فيه للقادة العرب – ولو على صعيد القول لا الفعل – قرارات موحدة تعبر عن آمال شعوبهم تجاه قضيتهم الأولى قضية فسطين.

وخير دليل على تردّي أوضاع العرب وفرقتهم وافتراقهم وعقم أنظمتهم، وفشل الكيان السياسي العربي الممثل في جامعة الدول العربية -قرارات القمة العربية الأخيرة للدورة الثامنة والعشرين التي انعقدت في 29/آذار/2017 بمنقطة البحر الميت في الأردن، التي عرّت الوضع العربي وكشفت عن عجز قادته في اتخاذ قرارات جادة تنقذ الأمة وتأخذ بأيدي شعوبها إلى بر الأمان، ولقد دفع هذا التردّي الكثيرين إلى السخرية من أحد القرارات الذي يدعم التحالف العربي في الحرب على اليمن ولا يتخذون قراراً بالحرب على العدو الصهيوني وهم لا يبعدون سوى بضعة كيلومترات عن الحدود الفلسطينية.

أدى تراجع الاهتمام بالقضية الفلسطينية إلى تمكين ِإسرائيل من الانفراد بالشعب الفلسطيني، فارتفعت وتيرة خطاب قادتها، ووصلت إلى الحد الأقصى بالدعوة إلى شرعنة الاستيطان، وتهويد القدس، والمطالبة بيهودية الدولة، والتنكر لحق العودة، وعدم الاعتراف بحل الدولتين، والتحلل من كل الاتفاقيات ووقف عملية السلام. إذ "لم تعد أي دولة عربية قادرة على تهديد إسرائيل خاصة مصر وسوريا والعراق، حيث عقّب وزير الدفاع الإسرائيلي موشيه يعالون على المعارك الدائرة على مشارف هضبة الجولان بين الجيش السوري والجيش الحر "إن ما يحصل لا يقدّر بثمن" وينسحب ذلك الموقف على العراق بعد تفكك جيشه، وخروجه من معادلة الصراع العربي الإسرائيلي وانشغال الجيش المصري بالوضع الأمني الداخلي المتدهور"([[10]](#footnote-10)).

ويرتبط بمفهوم "الحاكمية لله" في هذا الخطاب مفهوم الدولة الإسلامية، أو دولة الخلافة التي تطبق تعاليم الشريعة، وتحكم بما أنزل الله، في مواجهة الدولة الوطنية القائمة على القوانين الوضعية، وانبنى على هذا المفهوم مصطلحات وشعارات مثل: دار الكفر ودار الإيمان، ودولة الإسلام ودولة الكفر، ودار الحرب ودار السلام، وفسطاط الكفر وفسطاط الإيمان، وفي الفصل الحاد بين الثنائيات المتضادة إشارة إلى توحّد أصحاب هذا الخطاب ورفضهم للتنوع، وتعدد الديانات والعقائد والثقافات.

واضح من هذا الخطاب أن همّ أصحابه الرئيس إقامة الدولة الإسلامية أولاً على أي بقعة من بقاع الأرض، ثم يعدّون العدة للزحف وتحرير فلسطين، وقد سعى معتنقو هذا الخطاب وأتباعهم إلى تحقيق هذا الأمل في أفغانستان منذ سبعينات القرن الماضي، وفي سوريا والعراق في أوائل القرن الحالي، فأهدرت طاقات الأمة وقدراتها، في معارك جانبية بدلاً من توجيهها إلى العدو الصهيوني الذي يحتل أولى القبلتين وثالث الحرمين، لدرجة أن بعض الفلسطينيين مثل الشيخ عبد الله عزام وأتباعه ترك بلاده تحت نير الاحتلال، وذهب للجهاد تحت راية الإسلام في افغانستان وغيرها من البلدان.

ولعل أشد ما في هذا الخطاب خطراً دعوة بعض السلفيين إلى تفريغ أرض فلسطين من أهلها، وتركها لليهود وحثهم على الانتقال من ديار الكفر إلى ديار الإيمان والإسلام "وليعلم المسلم أن الحفاظ على الأرض والنفس ليس أولى من الحفاظ على الدين والعقيدة، بل إن استلاب الأرض من يظل مقيماً منها رجاء الحفاظ عليها غير واضع في حسابه الحفاظ على دينه أولا – قد يكون أيسر وأشد ايذاء وأعظم فتنة"([[11]](#footnote-11)).

يقول مؤلفاً كتاب السلفيون وقضية فلسطين في معرض دفاعهما عن فتوى الشيخ محمد ناصر الدين الألباني بالهجرة إلى ديار الإسلام: "هذه الحقائق يجهلها جهلاً تاماً أولئك الخطباء والكتاب والدكاترة المنكرون لشرع الله "وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا" فأمروا الفلسطينيين بالبقاء في أرضهم وحرموا عليهم الهجرة منها، وهم يعلمون أن في ذلك فساد دينهم ودنياهم، وهلاك رجالهم، وفضيحة نسائهم وانحراف فتيانهم وفتياتهم كما تواترت الأخبار بذلك عنهم، بسبب تجبّر اليهود عليهم، وكبسهم لدورهم والنساء في فروشهن، إلى غير ذلك من المآسي والمخازي التي يعرفونها"([[12]](#footnote-12)).

ولم يكتف أصحاب هذا الخطاب بالدعوة إلى الهجرة وترك الوطن، وِإنما تجاوزوا ذلك إلى النيل من كفاح الشعب الفلسطيني، وحقه في الدفاع عن أرضه، فكفروا الاستشهاديين الذين يضحّون بأنفسهم دفاعاً عن بلادهم، يقول محمد بن صالح العثيمين: "فإن أهل فلسطين إذا مات الواحد منهم بهذه المتفجرات وقتل ستة أو سبعة، أخذوا من جراء ذلك ستين نفراً أو أكثر، فلم يحصل في ذلك نفع للمسلمين، ولا انتفاع للذين فُجّرت المتفجرات في صفوفهم، ولهذا نرى أن ما يفعله بعض الناس من هذا الانتحار أنه قتل للنفس بغير حق وأنه موجب لدخول النار – والعياذ بالله – وأن صاحبه ليس بشهيد"([[13]](#footnote-13))، ويقول أيضاً: "الذي يجعل المتفجرات في جسمه من أجل أن يضع نفسه في مجتمع من مجتمعات العدو قاتل لنفسه، وسيعذَّب بما قتل به نفسه في نار جهنّم خالداً فيها مخلداً كما ثبت ذلك عن النبي "ص" فيمن قتل نفسه في شيء يعذب به في نار جهنّم"([[14]](#footnote-14))، ويقول محمد ناصر الدين الألباني: "أما الجهاد بمعنى ثورة أفراد يثورون ولو انتقاماً لأرضهم، فذلك ليس جهاداً، نعم يكون الدفاع عن الأرض واجباً، أما هذه الهجمات التي في أكثر الأحيان تكون الخسارة المترتبة عليها أكثر من الربح كما هو مشاهد في كثير من أمثال هذه الهجمات، فليس هذا هو الجهاد الذي يوجب على المسلمين كافة أن ينفروا"([[15]](#footnote-15)).

وينسحب على تقسيم المكان إلى دار كفر ودار ايمان دعوة أصحاب هذا الخطاب إلى عدم الإقامة في ديار غير ديار المسلمين طلباً للعلم أو التجارة أو غيرها من شؤون الحياة. وإلى إعلان الحرب على الغرب الكافر، ومواجهة الاستعمار القديم والجديد، ويرى فهمي جدعان أن هناك اتجاهاً أصيلاً عند الحركات التكفيرية لتأسيس دولة الإسلام، وأن "الإخفاق العربي شجّع الحركات الدينية السياسية الإسلامية على الخطو السريع في طريق العمل الصدامي ... وهذه التوجهات الصدامية سهّلت للغرب أن يشكل صورة كونية إعلانية بغيضة مثلت فيها عودة الإسلام عودة للشر والخطر والظلام، وقدمت هذه الصورة الراديكالية الإسلامية الحديثة بما هي تعبير عن روح الإسلام الشريرة وعن خصائص المسلمين البهيمية"([[16]](#footnote-16)).

فالخطاب التكفيري الإرهابي يمجد العنف باعتباره وسيلة مشروعة لإقامة الدولة الإسلامية في ظل عدم جدوى الدعوة السلمية والإصلاح مع حكومات كافرة ومجتمع جاهلي، ومن هنا غدا العربي المسلم في نظر الغربيين إرهابياً، وصارت المقاومة وحركات التحرر الوطني بما فيها المقاومة الفلسطينية نوعاً من الإرهاب، وهذا يفسر لنا قيام الغرب وعدم قعوده حين يقتل يهودي، وعدم تحريكه لأي ساكن تجاه المجازر التي يرتكبها كل يوم في فلسطين أو انتهاكات حقوق الإنسان أو العمل على تحرير آخر شعب محتل في الكون([[17]](#footnote-17)).

**أثر الخطاب التكفيري بين السنة والشيعة في القضية الفلسطينية:**

يزخر التاريخ الِإسلامي بحمولات تعد السبب الرئيس والمحرض الأساس في الخلاف بين السنة والشيعة الذي يصل حد القطيعة بينهما، ويفضي إلى تكفير كل منهما الآخر، فهو جهاز مناعة يلوذ به كل طرف لإثبات صوابه وأصالته وعمقه، لنفي الآخر، ونزع حقه في تمثيله للدين القويم.

ويزداد خطاب التكفير بين الطرفين في ظل الأزمات واحتدام الصراعات، "يشتعل بضراوة غير مسبوقة مع أول احتكاك سياسي راهن، حيث يتم استدعاء الذاكرة التاريخية السجالية بين السنة الشيعة فتكون جزءاً من معركة الحاضر، إلى درجة تضيع معها معالم الراهن لحساب الماضي، فتصبح المعركة أشبه ما تكون بتصفية حسابات تاريخية وانتقاماً لتارات قديمة، ليتحول الحاضر جزءاً من حلقة السجال المذهبي الموصول بحلقات سابقة"([[18]](#footnote-18)).

فأصحاب الخطاب التكفيري في الوسط السنّي يصفون الشيعة بالروافض والمجوس والصفويين، وبأنهم مرتدون ومشركون، وضالون وزنادقة ومارقون، لا تجوز الصلاة على ميتهم، ولا الزواج من نسائهم أو الأكل من ذبائحهم، لأنهم يطعنون في القرآن، ويزعمون أن الصحابة حرفّوه، وحذفوا منه ما يتعلق بآل البيت، يفتي ابن باز بعدم جواز التقارب بين السنة والشيعة فيقول: "لا يمكن الجمع بينهما، كما أنه لا يمكن الجمع بين اليهود والنصارى والوثنيين وأهل السنة، فكذلك لا يمكن التقريب بين الرافضة وبين أهل السنة لاختلاف العقيدة"([[19]](#footnote-19)).

ونجد مثل هذا الخطاب عند بعض الشيعة الذين يكفرون من يخالفهم في الاعتقاد بمولاة آل البيت، وإمامتهم وتقديمهم على سائر المسلمين، واعتبروا كل من لم يؤمن بعلي وصياً ووريثاً للنبي (ص) كافراً مخلداً في النار، فيروون عن الباقر قوله: "إن الله عز وجل نصّب علياً علماً بينه وبين خلفه، فمن عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً، ومن جهله كان ضالاً، ومن نصب معه شريكاً كان مشركاً، ومن جاء بولاتيه دخل الجنة"([[20]](#footnote-20)).

ولهذا سمّوا السنة بالنواصب، وطعنوا في أم المؤمنين عائشة، وكفروا الخلفاء الثلاثة أبا بكر وعمر وعثمان، وخصوا أبا بكر وعمر باللعنة والدعاء عليهما كما في الدعاء الذي يرونه عن علي بن أبي طالب "وللعن صنمي قريش وجبتيهما، وطاغوتيهما، وافكيهما، وابنتيهما، اللذين خالفا أمرك، وأنكرا وحيك، وجحدا إنعامك، وعصيا رسولك، وقلبا دينك، وحرّفا كتابك، وأحيا أعداءك .... اللهم عذبهم عذاباً يستغيث منه أهل نارك"([[21]](#footnote-21)).

ولقد ظل هذا الخطاب التكفيري السني الشيعي إلى نهاية سبعينات القرن الماضي محصوراً في إطاره العقدي التاريخي ،إلى أن شهدت المنطقة أحداثاً سياسية كبرى مثل الثورة الإسلامية، والحرب العراقية الإيرانية، والاحتلال الأمريكي للعراق 2003، كشفت عن الاحتقانات المذهبية، ودفعت بالعلاقة بين الطرفين إلى حوافٍ خطرة، وغدا الصراع سياسياً بذكريات دينية، وبات ما يسمى بالعالم العربي أو العالم الإسلامي، والصراع العربي الإسرائيلي من إرث الماضي وتركاته، وصرنا أمام عالم سني في مواجهة عالم شيعي، ولم تعد القضية الفلسطينية – كما كانت في العقود السابقة – لب الصراع في الشرق الأوسط، ولا عماد تكتل العالم العربي في مواجهة العدو الصهيوني، وإنما غدا الصراع مع العدو الإيراني الشيعي الفارسي هو جوهر الصراع في المنطقة وصار النووي السلمي الايراني أشد خطراً على العرب والمسلمين من النووي الصهيوني، فانحرفت بوصلة هذا الصراع واتجهت إلى عكس الاتجاه وتحولت من الغرب / العدو الصهيوني، إلى الشرق / العدو الفارسي الإيراني.

ولقد حرصت إسرائيل على تغذية الخطاب التكفيري، لبعث الصراع بين السنة والشيعة، وتأجيجه، واعتباره القضية المركزية للشرق الأوسط من خلال تصوير ايران بأنها الخطر الذي يهدد الأنظمة العربية السنية، وأنها مصدر القلاقل والمشاكل في المنطقة بتصديرها للثورة الإسلامية، ودعمها لحلفائها وأتباعها من الشيعة في العراق وسوريا ولبنان والسعودية واليمن والبحرين، ووقوفها إلى جانب التنظيمات والحركات المسلحة.

وفي أتون هذا الاستقطاب الطائفي كفَّر كثير من السنة المقاومة الشيعية في لبنان، فاعتبروا حزب الله إرهابياً وشهداءه كفاراً، وليس أدل على ذلك من تكفير سمير القنطار عميد الأسرى العرب في معتقلات العدو الصهيوني لأنه درزي متشيع، وارتكزوا في خطابهم على استشهاده بغارة إسرائيلية على الأرض السورية، وزواجه من شيعية، ووصل الأمر بهم إلى التشكيك في سبب أسره وعدم استشهاده مع بقية زملائه الين شاركوه في العملية البطولية بمدينة نهاريا، وأنه لم يفعل أكثر من قتل عالم الذرة الإسرائيلي داني هاران وطفلته الصغيرة([[22]](#footnote-22)).

وفي ظل هذا الخطاب يبرر كثير من العرب تحالفهم العسكري للحرب على الحوثيين في اليمن، وتوجيه الطائرات العربية لقصف أطفالهم بدلاً من قصف العدو الصهيوني، وفي ظله تُدعم الحركات التكفيرية في سوريا والعراق بالمال والعتاد للوقوف في وجه المحور الشيعي الممتد من ايران إلى لبنان.

ولم يرعووا عن التعاون مع العدو الصهيوني سراً وعلانية، وآخرها تلك المناورات العسكرية المشتركة مع الإمارات العربية، مما أثلج صدور قادة العدو، وعلى رأسهم رئيس الوزراء نتنياهو الذي قال: "إنه للمرة الأولى في تاريخ إسرائيل، وفي حياتي لم تعد الدول العربية تنظر إلى إسرائيل كعدو، بل كحليف للمواجهة مع ايران"([[23]](#footnote-23)).

ولأهمية هذا الخطاب فإن الصراع السني الشيعي كما يقول ناجح ابراهيم القيادي السابق في الجماعة الإسلامية المصرية هو "الوحيد الذي أنهى الصراع العربي الإسرائيلي إلى غير رجعة مع بقاء احتلال إسرائيل للقدس والمسجد الأقصى والضفة الغربية وسط حالة مستعصية من الغباء السني الشيعي، وحالة نادرة من الذكاء الإسرائيلي الذي استطاع السيطرة على المنطقة العربية التي قدمناها له على طبق من ذهب، دون مجهود يذكر منه"([[24]](#footnote-24)).

الخطاب التكفيري في الداخل الفلسطيني:

لعل خصوصية الشعب الفلسطيني على أرض فلسطين وانشغاله اليومي في المحافظة على هويته وانصرافه إلى مواجهة مخططات الاحتلال، هو الذي أبهت الخطاب التكفيري ، وحاصره بل وحصره في جوانب قليلة، فلم يكن بقدر ما رأيناه عند بعض الشعوب العربية، ولم يرتقِ إلى مستواه. ذلك أن الثورة الفلسطينية ومنذ انطلاقتها في أواسط القرن الماضي حرصت على حشد الطاقات، وتوظيف كل القدرات لمواجهة العدو المركزي وتحرير فلسطين، فاستوعبت كل التيارات والاتجاهات الدينية والفكرية والمذهبة فلم تميز بين المسلم والمسيحي، أو السني والشيعي، أو القومي والشيوعي، لأنها حركة تحرير وطنية.

ونتيجة لهذا الحرص، قدمت الحركات الإسلامية الجهادية التي نشأت في فلسطين السياسي على الديني([[25]](#footnote-25))، في كثير من الأحيان، ولم تدخل في صراعات فكرية دينية، فلم تكفر غيرها من الأفراد والطوائف والأحزاب والجماعات، بل كانت تُظهر مرونة في مواقفها وتحالفاتها، ولم تجد حرجاً من التعاون مع حركات أخرى علمانية. فعلى الرغم من نشوء حزب التحرير الإسلامي في القدس سنة 1953، وعلى الرغم من تشدّده ومقاربة خطابه مفردات الخطاب التكفيري المعاصر واندغامه معها في كثير من الأحيان مثل إقامة الخلافة الإسلامية، وتكفير الأنظمة وتقسيم العالم إلى دار حرب ودار سلام([[26]](#footnote-26))، إلا أنه ظل في إطاره النظري وتحليله السياسي، ولم يتجاوزهما إلى المشاركة المادية أو التأثير في جمهور الناس.

غير أن عدوى الخارج لا بد وأن تمتد إلى الداخل، نتيجة مركزية فلسطين وبخاصة القدس في المعتقد الإسلامي باعتبارها أولى القبلتين وثالث الحرمين وأرض المحشر والمنشر. فكانت غزة ونتيجة للأوضاع الخاصة التي تمر بها مسرحاً لظهور عدد من التنظيمات الإرهابية التفكيرية مثل كتائب سيف الحق / جند القاعدة، وتنظيم جند الله، وفتح الإسلام وجيش القدس، وعُصبة الأنصار، ولقد أعلن الشيخ السلفي عبد اللطيف موسى (أبو النور المقدسي) سنة 2009 عن قيام إمارة إسلامية في أكناف بيت المقدس، مما دفع حركة المقاومة الإسلامية حماس إلى محاصرته وجماعته في مسجد ابن تيمية بمدينة رفح وقتله وعشرين من أتباعه، كما هاجمت هذه الحركات التكفيرية كنيسة في القطاع، ومقاهي الانترنت، وصالونات تجميل النساء، والمقاهي، وغيرها من الأماكن التي تخالف معتقداتهم.

المراجع:

* البشتاوي، عماد: الربيع العربي وفلسطين، مجلة شؤون فلسطينية، تصدر عن مركز الأبحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية عدد 255، شتاء 2014.
* الجدعان، فهمي، الطريق إلى المستقبل، أفكار .. قوى للأزمنة العربية المنظورة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1996، ص2012، 2013.
* حزب التحرير: منشورات حزب التحرير، دار الأمة، بيروت، ط2، 2010، ص18.
* أبو رمان، محمد: السلفيون والربيع العربي، سؤال الدين والديمقراطية في السياسة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2013، ص51.
* الزواوي، خالد: مرجعية الخطاب السياسي الإسلامي في فلسطين، مواطن: المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله، 2012، ص289.
* السنوسي، صالح: القضية الفلسطيني في زمن الربيع العربي ص3، الجزيرة نت، 29/1/2014.
* صافية، حازم: نواصب وروافض، منازعات السنة والشيعة في العالم الإسلامي اليوم، دار الساقي، بيروت، 2009، ص136.
* صحف عربية تغدر: الصراع السني الشيعي سيشعل المنطقة، موقع B.B.C عربي على الانترنت 16 يناير 2016.
* صحيفة راي اليوم، 16/2/2017. www.raialyoum.com.
* القصاب، محمد كامل، والقسام، محمد عز الدين: السلفيون وقضية فلسطين في واقعنا المعاصر، مركز بيت المقدس للدراسات والتوثيق، ط1، 2002، ص22.
* القصاب، والقسام: السلفيون وقضية فلسطين، ص57.
* قطب، سيد، إبراهيم حسن الشاذلي، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط17، 2011م.
* الكفعمي، تقي الدين إبراهيم بن علي الحسن: المصباح، أو جنة الأمان الوافية وجنة الايمان الباقية، دار الكتب العلمية، النجف الأشرق، 1349هـ، ص552.
* الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي، تصحيح وتعليق على أكبر الغفاري، ط5، دار الكتب الإسلامية، طهران، د.ت، 1/438.
* د. كمجيان، ريتشارد هربر: الأصولية في العالم العربي، ترجمة عبد الوارث سعيد، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط1، 1989، ص54 وما بعدها.
* مالك، أنور: "سمير القنطار في مزاد حسن نصر الله"، مجموعة مقالات للكاتب في الخليج أونلاين". بتاريخ 28/12/2015 وما بعدها.
* محمد، عبد العليم: طبيعة الخطاب الإرهابي، جريدة الأهرام، السبت 2 إبريل 2016.
* المصري، محمد، وعوض، أحمد رفيق: رؤية جديدة للظاهرة التكفيرية، المركز الفلسطيني للبحوث والدراسات الاستراتيجية، رام الله، 2015، ص27.
* ملتقى أهل الحديث – اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء، على الانترنت.
1. () السنوسي، صالح: القضية الفلسطيني في زمن الربيع العربي ص3، الجزيرة نت، 29/1/2014. [↑](#footnote-ref-1)
2. () د. كمجيان، ريتشارد هربر: الأصولية في العالم العربي، ترجمة عبد الوارث سعيد، دار الوفء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط1، 1989، ص54 وما بعدها. [↑](#footnote-ref-2)
3. () المصري، محمد، وعوض، أحمد رفيق: رؤية جديدة للظاهرة التكفيرية، المركز الفلسطيني للبحوث والدراسات الاستراتيجية، رام الله، 2015، ص27. [↑](#footnote-ref-3)
4. () قطب، سيد، إبراهيم حسن الشاذلي، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط17، 2011م. [↑](#footnote-ref-4)
5. () قطب، سيد، إبراهيم حسن الشاذلي، دار الشروق، بيروت، ط6، 1979. [↑](#footnote-ref-5)
6. () المصري، محمد، وعوض، أحمد رفيق: رؤية جديدة للظاهرة التكفيرية، ص88. [↑](#footnote-ref-6)
7. () محمد، عبد العليم: طبيعة الخطاب الإرهابي، www.kafa24.net/arabic/action. [↑](#footnote-ref-7)
8. () محمد، عبد العليم: طبيعة الخطاب الإرهابي، جريدة الأهرام، السبت 2 إبريل 2016. [↑](#footnote-ref-8)
9. () أبو رمان، محمد: السلفيون والربيع العربي، سؤال الدين والديمقراطية في السياسة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2013، ص51. [↑](#footnote-ref-9)
10. () البشتاوي، عماد: الربيع العربي وفلسطين، مجلة شؤون فلسطينية، تصدر عن مركز الأبحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية عدد 255، شتاء 2014. [↑](#footnote-ref-10)
11. () القصاب، محمد كامل، والقسام، محمد عز الدين: السلفيون وقضية فلسطين في واقعنا المعاصر، مركز بيت المقدس للدراسات والتوثيق، ط1، 2002، ص22. [↑](#footnote-ref-11)
12. () المرجع السابق، ص31. [↑](#footnote-ref-12)
13. () القصاب، والقسام: السلفيون وقضية فلسطين، ص57. [↑](#footnote-ref-13)
14. () المرجع السابق، ص60. [↑](#footnote-ref-14)
15. () المرجع السابق، ص66. [↑](#footnote-ref-15)
16. () جدعان، فهمي، الطريق إلى المستقبل، أفكار .. قوى للأزمنة العربية المنظورة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1996، ص2012، 2013. [↑](#footnote-ref-16)
17. () زواوي، خالد: مرجعية الخطاب السياسي الإسلامي في فلسطين، مواطن: المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله، 2012، ص289. [↑](#footnote-ref-17)
18. () صافية، حازم: نواصب وروافض، منازعات السنة والشيعة في العالم الإسلامي اليوم، دار الساقي، بيروت، 2009، ص136. [↑](#footnote-ref-18)
19. () انظر: ملتقى أهل الحديث – اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء، على الانترنت. [↑](#footnote-ref-19)
20. () الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي، تصحيح وتعليق على أكبر الغفاري، ط5، دار الكتب الإسلامية، طيران، د.ت، 1/438. [↑](#footnote-ref-20)
21. () الكفعمي، تقي الدين إبراهيم بن علي الحسن: المصباح، أو جنة الأمان الوافية وجنة الايمان الباقية، دار الكتب العلمية، النجف الأشرق، 1349هـ، ص552. [↑](#footnote-ref-21)
22. () مالك، أنور: "سمير القنطار في مزاد حسن نصر الله"، مجموعة مقالات للكاتب في الخليج أونلاين". بتاريخ 28/12/2015 وما بعدها. [↑](#footnote-ref-22)
23. () صحيفة راي اليوم، 16/2/2017. www.raialyoum.com. [↑](#footnote-ref-23)
24. () صحف عربية تغدر: الصراع السني الشيعي سيشعل المنطقة، موقع B.B.C عربي على الانترنت 16 يناير 2016. [↑](#footnote-ref-24)
25. () الزواوي، خالد: مرجعية الخطاب السياسي الإسلامي في فلسطين، مواطن: المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله، 2012، ص289. [↑](#footnote-ref-25)
26. () حزب التحرير: منشورات حزب التحرير، دار الأمة، بيروت، ط2، 2010، ص18. [↑](#footnote-ref-26)